

# نوى

فصلية ثقافية - العدد المائة وواحد



NIZWA 2020 - 101

## غسبار شاعر الصمت البليغ

طاهر البكري\*

شعري لا أنسى وقعه وقد تأكلي المنفى والاعتراب  
ولم أزر تونس منذ سنوات طويلة : « لك في بيتي  
صخرة متى شئت ».

قلب الرجل كشعره يملأه الضياء وسعة الصدر،  
هكذا أسس في تونس مجلة « أليف » التي نشرت  
أعدادها من 1970 إلى 1982 والتي أشرف  
عليها بمعية زوجته جاكين داود وكذلك الكاتب  
صالح القرمادي وثلة من خيرة كتّاب تونس في  
السبعينات المنتهين إلى الأدب العالمي الحديث  
وكانوا يحاولون الخروج عن المدارس العقائدية  
والخطاب المتعارف، بفضل هذه المجلة تعرّفت  
وأنا طالب في الجامعة التونسية ثم تابعت ذلك على  
ما كان يترجمه لوران غسبار من شعراء كسفريسي  
واليتيس وكفافي وريك ولم تتعصب المجلة إلى  
لغة على حساب أخرى بل نشر فيها العديد من  
الكتاب والشعراء الفرنسيين والتونسيين والعرب  
على حد السواء. وكم نحن اليوم في حاجة إلى مثل  
هذه المجلة الأدبية الجيدة.

وكنت سعيدا في السنوات الأخيرة لقراءة لوران  
غسبار مترجما إلى العربية بقلم خالد النجار  
في كتابين « البيت قرب البحر » وأجساد ناهشة»  
وكذلك ترجم رضا الكافي «باتموس» ولا شك أنّ  
هذا يقرب الشاعر من القارئ العربي وهو الصديق  
لفلسطين وقد خصّص لها كتابين فكان مؤرخا  
إنسانيا نزيها. تمتاز في أعمال لوران غسبار  
اللغات والبلدان على حافة الحدود والشعوب لتكوّن  
جسدا مطلقا يعلو به الشعر إلى سمو الروح.

لم ألتق بلوران غسبار إلا نادرا في سوق الشعر  
بباريس وكان ذلك في كلّ مرّة بصفة عابرة، نتبادل  
فيها التحية والسلام في شبه صمت خجول. كان  
دفعه ولطفه يمنعني من الحديث إليه مطولا وأنا لم  
أعرّف عليه سابقا عندما كنت في تونس كغيري  
من كتّاب جيلي وقد غادرتها سنة 1976.

بقيت أتابع إصدارات وأخبار الشاعر على مرّ  
السنين وأقرأ ما يكتبه وكانت أشعاره دائما قريبة  
من نفسي أحبّ عالمها ولغتها السلسلة الرقيقة  
المرهفة. فهي تذهب إلى لبّ الأشياء والعناصر  
وتغوص فيها. توحى لك بمناظر وأحاسيس هادئة،  
تلتهم من نورها ما انبثق شعورا عميقا داخلها  
حميما جميلا: بحر، سماء، شجر، نبات، بين العتمة  
والضياء. شعره كالصمت البليغ، بعيد عن الافتعال  
أو التّصنّع، يركّز على الموادّ والمعادن، يغوص  
فيها غوصا باطنيا ذاتيا، كمن يحتاج لمعالجة  
الروح وهو الطبيب الذي يعالج الجسد.

من ديوانه الأول « الحالة الرابعة للمادّة »  
1966 مروا بديوانه «أرض مطلقة » 1972 إلى  
«باتموس» 2001...تبعث اللحظة الشعرية ميلادا  
جديدا يرقى بالإنسان إلى الصفاء وحب الحياة.

كل هذا جعلني أتجرأ يوما وأبعث له إلى منزله في  
سيدي بوسعيد - وأنا حديث العهد بالنشر- بديواني  
«القلب يرتاد البحار» 1988 قلت لعلّ الشعر يكون  
أبلغ من الكلام الخاطف، وأنا أقدر في الرّجل إبداعه  
وسلوكة ومساهماته في الحركة الأدبية في تونس،  
بعد أيام ، وصلتني من الشاعر كلمة قصيرة كبيت

\* شاعر وكاتب من تونس